

صورة المرأة لدى الأنا الذكورية مسرحية العقد لعبد العزيز بوشفيرات أنموذجاً

الأستاذ: محمد قشي

قسم الأدب واللغة العربية

كلية الآداب واللغات

جامعة قاصدي مرباح - ورقلة

المعروف عن المجتمع بأنه هو الذي يسهم بشكل كبير في رسم كل جنس أدبي ويحدد مساراته وماهيته؛ هذا المجتمع الذي أعطى امتيازاً وفحولةً للجنس الذكوري الذي تكون فيه الأولوية للرجل على حساب المرأة دون النظر إلى حقوقها أو احتياجاتها، فهي تقع في المرتبة الثانية أو في الجانب الآخر المهمش بعد الرجل، والذي يمثل الأنا المسيطر والسائد.

يحصر المجتمع الذكوري دور المرأة في النظرة التقليدية (الزوجة، الأم، المربية) فقط لا يجب أن تتعلم في المدارس مثل الذكور ولا تتعلم الكتابة الإبداعية خاصة، فالسلطة الذكورية خاصة مترسّخة منذ القديم في اللاوعي الفردي، وبهذا أصبح الطابع السائد والمهيمن في مجتمعنا، لأنّ ثقافته تفرض ذلك وتنصبه الأنا والمرأة في مرتبة الآخر.

ويعد موضوع "الأنا والآخر" من بين المواضيع التي اشتغل عليها الدارسون والباحثون الذين رأوا وجود متلازمة ألا وهي متلازمة الحضور من أجل الحكم على أحدهما فلا يمكن الحكم على طرف دون ملازمة الطرف الآخر، ومن بين الثنائيات نجد (شرق/ غرب) أي بلاد المشرق وبلاد المغرب على اختلاف العادات والتقاليد والثقافة الاجتماعية (ذكر/ أنثى) أي ما بين الرجل والمرأة، وإذا قلنا الكتابة الذكورية فتقابلها الكتابة النسوية؛ أي استحضار الأنا والآخر في الكتابة الأدبية الإبداعية.

ويأتي اهتمام المرأة بالكتابة من خلال مواجهتها لطريق مغلق حددته التقاليد والأعراف والبنية الثقافية الذكورية السائدة داخل المجتمع المتمثلة في الأنا والتي حرصت

على وضعها في هامش المجتمع كآخر، وبهذا استخدمت المرأة الكتابة لإثبات ذاتها داخل هذا المجتمع الذكوري محاولةً خلق أدب نسوي يعبر عن كينونتها.

نجد الباحثة "ماري إيجلتون" تعرف الأدب النسوي بأنه الأدب الذي يسعى إلى الكشف عن الجانب الذاتي الخاص في المرأة بعيداً عن تلك الجوانب التي اهتم بها الأدب منذ عصور طويلة خلت، أما "إلين شوالتر" فهي ترى بأن الأدب النسوي هو الذي يكشف بوضوح اهتمامات المرأة بذاتها.¹

تعددت المفاهيم لدى الدارسين والنقاد حول مصطلح الأدب النسوي فهناك من يرى بأنه الأدب الذي يجمع بين ما تكتبه المرأة وما بين ما يكتب عنها الرجل أو من قبل المرأة، وهناك من يربطه بحرية المرأة في كتاباتها وصراعها التاريخي الطويل للمساواة بين الرجل ومحاولتها إثبات الذات؛ أي أن الكتابة النسائية وضعت مقابل الكتابة الذكورية المهيمنة أو السائدة، ومن بين الذي تناولوا صورة المرأة في أعمالهم الأدبية نجد "عبد الله الغدامي" فهو يقدم لنا صورة المرأة الموجودة في ذهن العربي الذكوري؛ أي لدى الأنا الذكورية والمجتمع الذكوري والكتابة الذكورية ويضرب لنا مثلاً من الأمثال الموجودة في الجزيرة العربية (البنات ما لها إلا الستر أو القبر) وهي تعبر عن صورة الصمت والموت.²

ولكن المرأة حاولت إيصال صوتها وفكرتها ووجودها وإثبات ذاتها عبر الكتابة أو عبر الحكى وهذا ما عبر عنه "عبد الله الغدامي" في كتاب "المرأة واللغة" حيث يقول: إن أبرز صورة ظهرت بها المرأة في زمن ما قبل الكتابة (كتابة المرأة) هي صورة "شهرزد" بطلة "ألف ليلة وليلة"، حيث لم تحك وتتكلم فحسب ولكنها كانت أيضاً تواجه الموت من جهة وتدافع عن قيمتها الأخلاقية والمعنوية من جهة أخرى.³

وحين نتحدث عن الجانب البطولي في نظرة الأنا الذكورية للأخر النسوي وهذا من خلال الكتابة المسرحية، نجد مسرحية "العقد" لعبد العزيز بوشفيرات، إذ تتكون المسرحية من 4 فصول تكلم عبر صفحاتها حول الفتاة البطلة رتيبة التي تعيش في قرية نائية فقيرة بعيدة عن المدينة وبالرغم من ظروفها القاهرة فقد عاشت شبه يتيمة الأب الذي سافر نحو المجهول رغبةً منه في الحصول على العمل الذي يوفر لقمة العيش لعائلته ولكنه منذ سنين لم يُسمع عنه أي نبأ، وقد وكان الفضل لأُمها في تربيتها الصالحة وكافحت

من أجل تربية بناتها الأربع أحسن تربية، وهاهي البطلة "رتيبة" ابنتها الكبرى والتي تحدثت الصعاب ونجحت في البكالوريا بامتياز لتكمل دراستها الجامعية في العاصمة وتتطلق رحلتها بدءاً من خروجها من القرية متجهة نحو محطة الحافلات، وقد كان معظم الفصل الأول يحكي عن حياة البطلة "رتيبة" وهي تسترجع ذكرياتها في المدرسة الثانوية وعن تطلعاتها نحو هذه الخطوة الكبيرة التي خطتها نحو تحقيق هدفها الأساسي وهو توفير سكن لعائلتها في العاصمة وإخراجهم من الجحيم الذي يعيشونه، أما الفصل الثاني كان جد مختصر فهو يدور حول الخطوة التي قامت بها "رتيبة" وهي رحلتها للبحث عن العمل، وقد وجدت ذلك في محل للطور وأدوات الزينة بدوام جزئي مساءً بعد الدراسة، ولكن سرعان ما تم طردها من طرف المسئول عن المحل وهو "بوربيطة" الذي كان سوقيًا وانتهازيًا معها ولكنها تعرفت على صاحبة المحل أنيسة، التي قصت عليها حكايتها وهدفها من الدراسة، وفي الفصل الثالث عرضت عليها العمل في محل آخر للمجوهرات وإيجارها لمنزل صغير تملكه لتبقى على هذه الحالة مدة من الزمن إلى أن يقوم "بوربيطة" بتوريط زوج السيدة " أنيسة" بأعمال مشبوهة غير قانونية فتتوقف عن العمل بحكم غلق المحل، أما في الفصل الرابع فقد قامت السيدة " أنيسة" بتقديم البطلة "رتيبة" إلى جارها في السكن والذي يعمل في حقل السينما الذي عرض عليها العمل معه (العقد) وهذا بإعادة كتابة قصتها بدءاً من بلدتها الفقيرة وحياتها هناك ثم رحلتها الأولى إلى العاصمة وتعرفها على الأناص الذين لاقتهم والصعوبات التي واجهتها كما لها الحرية في وضع النهاية لقصتها. لتدخل البطلة عالم الكتابة والذي يمكنها من تحقيق هدفها الأسمى وفي آخر النص المسرحي تقول رتيبة: رتيبة: .. لكن نهايتها مفتوحة، دلالة على التشبث بالأمل الذي كان ولا يزال هو الذي لا يفنى.. فلنكن كما قرأتموها أنتم أعزائي القراء وكما استمتعتم لها على هذا النحو أيضاً.⁴

يقدم لنا الكاتب نظرة المجتمع الذكورية للفتاة "رتيبة" وهذا منذ بداية المسرحية لما كانت ذاهبة إلى العاصمة لإكمال دراستها الجامعية لما استوقفها جارها "الشيخ أحمد" سائلاً إياها إلى أين أنت ذاهبة:

الشيخ أحمد: "بتعجب" مسافرة إلى مدينة الجزائر.. مدينة الجزائر..؟⁵

تعجب " الشيخ أحمد" هو نابع من الثقافة المحلية السائدة فكيف لفتاة صغيرة بأن تذهب إلى العاصمة وتدرس وتفعل ما يفعله الذكور، كما نجد نظرة أخرى أكثر حدة وهذا لما كانت بصدد الصعود ووضع حقيبتها في صندوق الحافلة:

الصوت: لماذا ينظرون إليك هكذا؟

رتيبة: إنهم يشعرونني بالذنب.. أنا طالبة علم لا غير.. إنني أحس بالخجل من نفسي في مثل هذه المواقف رغم نبل مسعاي.⁶

كان هدف " رتيبة" واضحا ونييلا ولكن نظرة المسافرين في محطة القطار وهي ذاهبة للدراسة كانت نظرة وكأنها فعلت خطأ كبيرا ولكنها قامت بكسر الحاجز أو الثقافة الذكورية السائدة في تلك القرية النائية الفقيرة.

وتعد معاملة شخصية " بوربيطة" لرتيبة هي نتاج ثقافة الأنا الذكورية المسيطرة فكيف لفتاة من قرية فقيرة أن تأتي وحدها إلى العاصمة لتدرس وتكون بهذا المستوى الثقافي غير المعهود لفتاة أن تدرس في الجامعة فهو يرى بأن مكان المرأة هو المنزل فقط، وكيف لها أن تكون علاقات جيدة مع أصحاب المحل الحقيقيين بهذه السرعة والسهولة وهو العامل لسنوات عديدة في ذلك المحل ولم يلق اهتماما مثلما تلقته رتيبة، كل هذا هي نظرة الأنا الذكورية للأخر الذي مثلته هنا المرأة.

ثابت " رتيبة" لإثبات ذاتها داخل هذا المجتمع الذكوري عبر ثلاث محطات:

المحطة الأولى وهي مرحلة الإثبات عبر نجاحها وتفوقها في الدراسة

المحطة الثانية وهي إثبات وجودها وقدرتها على العمل داخل ثقافة ذكورية.

المحطة الثالثة وهي استعمال الكتابة من أجل إخراج الصوت الصامت إلى العلن، وهذا لما قامت بكتابة قصتها التي تتحدى فيها نظرة الأنا إليها.

ومن خلال هذا النموذج المسرحي، الذي تناول قضية مهمة من قضايا المرأة في علاقتها بالكتابة، نجد أن المرأة تلجأ إلى الكتابة من أجل الوجود وإثبات الذات، فالكتابة النسوية هي مواجهة للأنا الذكورية، وكسر للطابو.

الهوامش:

- 1- ينظر: إبراهيم خليل: في الرواية النسوية العربية، دار ورد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007، ص 3.
- 2- ينظر: عبد الله الغدامي: الكتابة ضد الكتابة، دار الآداب، بيروت، ط1، 1991، ص 18.
- 3- فاطمة مختاري: الكتابة النسائية أسئلة الإختلاف.. وعلامات التحول، رسالة دكتوراه، إشراف وذناني بودواو، جامع قاصدي مرباح ورقلة، 2013/ 2014، ص 53.
- 4- عبد العزيز بوشفيرات: العقد، دار الساحل للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009، ص 105.
- 5- المصدر نفسه، ص 19.
- 6- المصدر نفسه، ص 23.